الإشكالية الأخلاقية للسلام الكوني عند كانط

الأستاذ المساعد
سمير بلكفيف
الجمهورية الجزائرية
معهد العلوم الاجتماعية الإنسانية
جامعة عباس لغرور - خنشلة

المقدمة:

إننا نجد كانط، ومن خلال كتابه "نحو السلام الدائم" يقف عند مفترق طريقين، ويتجاوز ذلك من أجل إيجاد طريق ثالث، يعيد فيه الاعتبار لماهية السلام وآليات تحقيقه، فهو من جهة، يتجاوز النظرة المغالية في المثالية (الطوباوية)، والتي يمثلها أفلاطون، ذلك أن كانط كان أكثر جرأة من هذا الأخير، فهو لم يعمل على تأجيل سعادة البشر إلى ما وراء العوالم، وإنما بحث عن كيفية تحقيقها في عالمهم الواقعي، وهي السعادة التي لا يمكن أن تكون شيئا آخر غير بلوغ السلام الكوني، وهو من جهة أخرى، يتجاوز سخرية وتشاؤمية بعض الفلاسفة، أمثال لايبنتز، والذي أكّد أن السلام ليس سوى تصنعا ولهو غير مجد لحشد من السذج.

يبدو أن كانط إنسان مفرط في إنسانيته، فهو يثق في الإنسان ثقة مطلقة، وفي بعده الأخلاقي والعقلي يعوّل عليهما كثيرا في ضمانات السلام، الأمر الذي يجعل مشكلة السلام -حسبه- مشكلة أخلاقية، ذلك أن الأمل في سلام كوني وأبدي

يسود العالم، ويستمر بصورة لانهائية مرهون كله بالتربية الأخلاقية، هذا من جهة، ومن أجل تكوين العقل النقدي؛ أي العقل الراشد المستنير، من جهة أخرى، على اعتبار أن تشريع السلام الكوني يقتضي الاحتكام إلى سلطان العقل، وأن تعيين هذا السلام هدفا إنسانيا نبيلا يوجب-علاوة على ذلك- الإقرار بأخلاقيات التواصل بين الشعوب والدول حتى في حالة الحرب.

وعلى هذا الأساس، تكون إشكالية الموضوع كالتالي: كيف يمكن فهم السلام -بما هو مشكلة سياسية- فهما أخلاقيا ؟ ضمن أية رؤية ووفق أية استرتيجية يفكر كانط في موضوع السلام ؟ ثم ما الذي يجعل مطلب السلام الكوني مطلبا إنسانيا ملحا ؟ وإلى من يتوجه هذا الرجاء (السلام الكوني) أو ذلك النداء سواء كان سخرية أم هجاء ؟ هل يتوجه إلى الناس بعامة أم إلى الساسة بخاصة أم هو قول خاص بالفلاسفة ؟ ثم كيف يكون السلام الكوني حافزا للإنسان في الوصول إلى مواطنة عالمية ؟ وكيف يكون السلام الكوني كفيل كمرجعية إنسانية لحل المسائل الخلافية القائمة بين الدول ؟ وأخيرا كيف يكون السلام محركا أخلاقيا -في حقيقته- يطرح على مستوى الراهن بقوة ؟ أي هاجس هذا الذي يدفع بكانط إلى التفكير في مصير الإنسانية تفكيرا إتيقيا يظل راهنا حتى بعد موته ؟

أولا-حول أهمية وضرورة السلام:

إن تمسكنا بـ"كانط" كمرجعية فلسفية في موضوع السلام الكوني-الأبدي يفسره تأثيره الكبير في تشكيل الوجه الأبرز للحداثة الفلسفية "فلسفة القانون(١)"، سواء على مستوى المبادئ أو الإشكاليات، بيد أنه إذا كان كانط قد جعل من النقد والتأسيس شعارا لفلسفته، فقد أبى الفلاسفة اللاحقون عليه إلا أن يكونوا

أوفياء لهذا الشعار، حينما رجعوا إليه ليستوعبوا فلسفته ويمارسوا عليها نقدا واسعا، إما لتوسيع مفاهيمها أو تجاوزها أو التضاد معها، ابتغاء بناء فلسفات جديدة(٢).

ويأتي إسهام كانط في إرساء دعائم وأسس السلام، على اعتبار أن هذا الأخير ليس من فعل الطبيعة، إنما ينبغي أن تصنعه إرادة البشر؛ أي أن السلام يرتبط بالفعل الإرادي للإنسان، بحيث يتوجب عليه أن يعيّن سلوكه بشكل تصبح معه قوانين السلوك لكل واحد تقوم بموجب مبدأ الحرية والحق(٣). ونظرا، لأن البشرية تعرف في الوقت الراهن ما يسمى بالنزوع التخريبي، وهو أساس كل مظاهر النزاعات والحروب بما تتضمنه من هدم لقيم الإنسان، وتهديد لوجوده ذاته، ومن ذلك شبح التهديد بالحروب النووية أو الكيميائية أو البيولوجية، هذا الشبح الذي يبقى مسلطا على رقاب البشر دائما، إذا لم يتم السعي إلى التخلص من كل أسلحة الدمار الشامل(٤).

إن الإنسانية لا تهددها الأخطار الناجمة عن اختلاف الأديان أو اللغات في ظل السلام الكوني-الأبدي، بل تغدو ممكنة في كنف من الحياة الإنسانية الحقيقية، لأن الالتزام الشخصي الحر إلى كونه قيمة أخلاقية في ذاته، يُنمي حركة التقارب بين الشعوب، ويحفّز القوى الفعالة على التسابق نحو الأفضل، ذلك أن السلام الكوني القائم على العدل والحرية يؤلف أروع مكسب تحققه الإنسانية المتطورة(٥).

إن كانط يبدو أكثر تفاؤلية حسب عبارة «Jean Paul Richter »، إذ بقي حتى موته يدافع عن السلام الكوني-الأبدي، ولقد كان على حق عندما أثنى على "هيوم" بوصفه أعطى الدواء البطولي، والذي بإمكانه أن يجلب الشفاء

للإنسانية من الحروب وما تخلفه من آلام، حين شبه الأمم المتحاربة (أثناء الحرب) بشخصين ثملين يتشاجران بعصي في محل فخاري، ويلزمهم وقت طويل للشفاء من اللكمات المتبادلة، وفوق ذلك لا بد عليهم أن يدفعوا قيمة وثمن ما حطموه من أواني، بينما النتائج المؤلمة للحرب الحالية قادرة على أن تُحتّم على المتنبئين السياسيين بالإقرار بتوجيه قريب للإنسانية نحو الأحسن والأفضل، وسلام عالمي بدا يلوح في الأفق(٦).

إن السلام الحقيقي ليس السلام المؤقت، بعد وقبل الحرب؛ أي عندما يبحث المنتصر عن الاستزادة من الغنائم، بينما يحضر المنهزم نفسه للثأر، بل السلام الحقيقي يتعلق بسلام راسخ ودائم (كوني)؛ أي سلام لا يحتوي منذ تأسيسه على تعقيدات قد تعيقه، فإن سلام مثل ذلك لا يمكن أن يكون كونيا، وهنا ينبغي أن نتعلم مجددا من التاريخ، فمعاهدات السلام كثيرة عبر التاريخ، لكن هذا النوع من السلام هو سلام اتفاق وهدنة، بيد أن السلام الكوني، والذي ينبغي أن يعقب ما يسمى خطأ حتى الآن بمعاهدات الصلح -وهي في الحقيقة اتفاقيات هدنة- ليس فكرة جوفاء، إنما هو مهمة تتحقق رويدا رويدا، وتقترب من غايتها بخطى واثقة ومستمرة، ولابد من الأمل بأن الفترات الزمنية التي تستغرقها هذه الخطوات الصاعدة باتجاه السلام الكوني تتسارع أكثر فأكثر (٧).

وعلى هذا الأساس، يقصد كانط بالسلام في قوته كسلام دائم وكوني وعالمي، بما أن العائق يتأتى من الإخفاق في تحقيق مؤسسة عدل عالمية، الآن وقد أصبح الطريق مفتوحا وحتى لو بقي مصطلح السلام موضوع تفكير، فإن خلاص البشرية يتمثل في تحويل هذا التفكير إلى ممارسة سياسية-عملية(٨).

ثانيا- نحو تأصيل كوني للسلام أو في كونية المفهوم والمصطلح:

يعرض كانط مشروعه -السلام الكوني- وفق إستراتيجية العقلانية الكونية التي تزدرى كل ما هو جزئي ومتغير، وتبحث عن منطلق يتجه نحو الشمولية، ولعل الدليل على ذلك من وجهة النظر الفيلولوجية هو عنوان الكتاب في حدّ ذاته "نحو السلام الدائم".

إن السلام الكوني هو الحافز الوحيد في بلوغ السياسة الكونية، وما يتبعها من مفاهيم كونية (مواطنة كوسموسياسية، قوانين سياسية كونية، تاريخ كوني، مجتمع كوني أخلاقي ...الخ)، والحقيقة أن المفهوم الكوني للسلام لا يتعلق بفكر يخص حضارة دون غيرها، أو قسما من الإنسانية دون غيره، فلا يعني السلام الكوني ما تقرّه أطروحات الفكر الغربي من مواثيق ودساتير -مع أن السياسة الغربية تنتهك ذلك- ذلك أن المساهمة في السلام تطرح -في نظرنا- طرحا خاطئا عندما نقيسها على مساهمات الغرب فحسب،كيف لا ؟ وهو الذي ينتج نقيضه (الحرب)، وإنما المقصود هنا بالسلام شكل من أشكال الحقيقة، وهو لا يحيل لأي معنى عرقي أو جغرافي أو قومي، إن السلام الكوني المقصود به هاهنا لا هوية له، وربما هو ما يتجاوز كل هوية، فليس هناك معاهدة أو سلام أصيل، كل ما هناك هو كيفيات أصيلة للمشاركة في إرساء السلام الكوني-الأبدي. لذلك فإن كل سؤال فلسفي لا مفر له اليوم من أن يجد نفسه منخرطا في إطار كيفية الحفاظ على النوع البشري-الإنساني، ولابد من أن يطرح على الفكر بما هو فكر إنساني كوني.

إن السلام يجب أن يرتبط بالبعد الإنساني، وبروح المواطنة[9] من أجل تكريس القيم الديمقراطية السامية، على اعتبار هذه الأخيرة كقيمة عالمية-كونية لا

يمكن لها أن تقوم إلا في ظل سلام عالمي، لأن القضاء على السلام يعني القضاء على الديمقراطية.

إننا إذن مطالبون للمساهمة في الكونية، بيد أن هذه المساهمة لن تتأتى إلا لمن يقول بفكر شمولي-كوني، يتعالى عن الاختلافات اللغوية والفروق الحضارية والسياسية والأيديولوجية، وفي هذا السياق نجد كانط يثق ثقة مطلقة في الإنسان، على اعتبار النظرة العقلانية لضرورة السلام، والتي ستؤدي لامحالة إلى ربط الممارسة السياسية بالبعد الأخلاقي، ذلك أن العقل العملي (الأخلاقي) يستشرف الخطر الذي لا مهادنة فيه قائلا: "يجب أن لا تقوم حرب البتة، لا بينك وبيني في الحالة الطبيعية، ولا بيننا كدول مبنية داخليا"، هذا السلام الذي أفعل ما يكون في إنهاء الحرب القذرة، والتي ما فتئت جميع الدول من دون استثناء -حتى الآن- تحشد مؤسساتها الداخلية تجاهها، كما لو كانت هي الغاية الأسمى، وإذا كان السلام يظل بالنسبة إلينا مجرد أمنية غالية، فعلى الأقل لن نخطئ قط إذا اتخذنا كمبدأ لنا أن نصبو إليه بدون كلل، لأن هذا هو الواجب[١٠].

يظهر كتاب كانط "نحو السلام الدائم" سنة (١٧٩٥)؛ أي قبل كتابه "المبادئ الأولى الميتافيزيقية لنظرية القانون"، حيث صاغه على هيئة معاهدات دبلوماسية، ويتألف من الأقسام التالية:

أولا- ستة مواد تمهيدية تصوغ الشروط السلبية للسلام.

ثانيا- ثلاث مواد نهائية تصوغ الشروط الايجابية العامة الداخلية والخارجية الدولية لقانون السلام.

ثالثا- ملحق أول: يبحث فيه كانط من الناحية الفيزيائية والمادية المحضة في الطبيعة بوصفها ضمان السلام.

رابعا- ملحق ثان: يدعو فيه كانط إلى إعطاء الفلاسفة في تنوير الدولة والحاكمين فيما يتعلق بالأمور السياسية.

خامسا- العلاقة بين الأخلاق والسياسة [١١].

إن نصوص الكتاب (نحو السلام الدائم) تتقدم في شكل معاهدة سلام تنتظر التوقيع من الذين سيلتزمون باحترامها، وهو يبدأ "بمواد تمهيدية" تحدّد مجموعة من الشروط بحيث لا يمكن تصور مشروع السلام من دونها، وهناك ميزة أساسية تتمثل في الحذر من كل ما يجعل الثقة المتبادلة مستحيلة، ثم يأتي حينئذ نص المعاهدة المتمثل في "المواد النهائية"، والتي عددها ثلاث؛ يلتزم الموقعون بترقية الدستور الجمهوري في دولهم الخاصة بالدخول في فيدرالية للدول حرة، مؤسسة لحق الشعوب، وبسنّ قانون عالمي محدّد بإكرام عالمي (Hospitalité) -ضيافة كونية- وتنتهي المعاهدة بتذييلين يتعلق كلاهما بما يؤكد إمكانية دوام السلام، يخص الأول ما يضمن السلام، والذي ذهب في اتجاه ما قرره كتابه السابق "تاريخ كوني من وجهة نظر عالمية"، كما يضيف في طبعة لاحقة للكتيب ملحقا خاصا بالعلاقة بين السياسة والأخلاق[١٢].

:إن كانط نفسه يعتبر كتاب السلام الدائم، وبالرغم من صغر حجمه بمثابة التطبيق العقلي للنظرية السياسية، والتي وضعها في كتابه الشهير "الأصول الفلسفية لنظرية الحق"، ولقد عبّر عن هذا أبلغ تعبير في خاتمة الكتاب المذكور الذي صدر سنة (١٧٩٧)؛ أي سنتين قبل وفاته.

ثالثا- نحو إشعاعية كونية أو في تجاوز التاريخانية:

بالرغم من اشتغال كانط على مستوى المقولات التاريخية [١٣] إلاّ أنه يتجاوزها في نهاية المطاف إلى إشعاعية كونية -على حد تعبير ميشال فوكو- بحيث

تُختزل لديه كل المنظومات الواقعية إلى حدود لا نهائية، وتغدو معه القوانين السياسية ذات أبعاد كونية لانهائية، الشيء الذي يسمح بالمضي قدماً تجاه سياسة كونية عالمية، وبالتالي إمكانية الانخراط في مواطنة كونية عالمية من أجل التخفيف من وطأة الانتماء ومن ثقل الذاكرة التاريخية [١٤]، ذلك أن المشكلة الكبرى للنوع الإنساني -فيما يقول كانط- هي بلوغ مجتمع كوني يحكمه قانون كوني، وتفسير هذا أنه في المجتمع وحده يمكن تحقيق استعدادات الإنسان وبالتالي غرض الطبيعة، فيغدو المجتمع منظما وفق دستور كامل وعادل للمواطنين مع تمتع هؤلاء بكامل الحرية، هذه الأخيرة التي تجد في القوانين السياسية الكونية ضمانا لها [١٥]. إن الكونية التي يفكّر وفقها كانط هي كونية اختزال الخصوصيات، بينما الكونية التي يبحث عنها هي كونية القانون وعالميته باعتباره قاعدة الفعل التي وضعها العقل الخالص العملي[١٦]، وهذا القانون ينطلق من الذات الإنسانية التي تقوم بتشريع ذاتي وكوني في الوقت ذاته، لأنها حينما تشرّع لذاتها فإنها تشرّع للآخرين.

إن السياسة الكونية تُحيل إلى ضرب من العالمية التي تتخطى أقنوم المجتمع وأقنوم الدولة معا؛ فهي تؤسس للوطن الآخر، وطن المعنى، وهي تعيد طرح كل نظام وكل قانون وكل سلطة على محك المعنى الذي يمكن للفرد أن يرى نفسه من خلاله؛ أي بما تعنيه ذاته كإنسان، ولا تولّد المواطنة العالمية إلاّ عندما تُكسر دوائر الانغلاق الثقافي ويتاح للذات مباشرة صلتها الطبيعية بالعالم بتوسط الحرية وحدها، وهنا ليست الحرية سوى الإتيان بشيء من مساحة المعنى خارج السلطوي[١٧]، فيتعلم الإنسان فن العيش معا -بما هو إنسان- على وجه التواصل الكوني وخلق فضاء عمومي قائم على مبدأ العمومية بوصفه شرطا لكل علاقة

مع الآخر، وباعتبار الإنسان كائنا عاقلا خاضعا لقوانين العقل العملي، وبوصفه كائنا مستقلا أو غاية في حدّ ذاته ينتمي إلى مجال الكائنات العاقلة بعامة، وباعتبار البشر كائنات أو مخلوقات أرضية تعيش في شكل اجتماعي يملك حسا مشتركا أو حس الجماعة[١٨]، فإن كل هذا يسمح بقيام ثقافة النزعة الإنسانية، والتي تأخذ بالبعد الإنساني أو إن شئنا الدقة-فيما يقول جاك دريدا- قيام ثقافة المواطنة الكونية[١٩].

إن مثل هذا الطموح الكانطي، والذي يأخذ معه مجموعة كبيرة من الفلاسفة غير قابل-على الأقل- للتفكير فيه على نحو خال من ضمانات تسمح ببلوغه، لذلك نجد كانط يعتمد على تمفصلات من شأنها إنجاح وتحقيق السلام الأبدي-الكوني، والذي لا يمكن أن يتأتى خارج أرضية أمنية، ورؤية تفاؤلية للمستقبل.

هكذا يكون الحاضر أفضل من الماضي والمستقبل أفضل من الحاضر، وتنعكس هذه الأفضلية الزمانية على مستوى الواقع، بحيث تستطيع الإنسانية بلوغ -ولو بالقدر القليل- مستوى النضج السياسي والأخلاقي، إذ تظهر الدساتير والقوانين التي من شأنها تعزيز الكرامة والبعد الإنساني وتحفظ حرية الفرد، ذلك أن الحقوق هي الشرط اللازم لتعايش الحريات الفردية، وهي أيضا أساس لتصور الدولة من حيث أن غرضها ليس هو إرشاد الناس إلى السعادة بل كفالة النظام لكي يتيسر للإنسانية أن تتقدم نحو الأحسن والأفضل، وحتى يصبح مخطط النمو والتقدم الذي يسير فيه التاريخ الإنساني هو تعبير عن المثل الأعلى للحرية[٢٠]، فالطبيعة والحرية إن اجتمعتا في فكر الإنسان بحسب مبادئ الحق الكامنة فيه تصبحان وحدهما القادرتين على تقرير هذا الأمر (التقدم) حتى وإن لم يكن

ذلك إلا في صيغة غير محددة وكحدث عارض[٢١]، وإذا كان الحل الأمثل والكامل -حسب أفلاطون- لأي دستور أو لقوانين تامة وعادلة ذات صلاحية كونية يبدو مستحيلا على مستوى الواقع[٢٢]، فإن كانط كان أكثر جرأة من أفلاطون، فهو لم يعمل على اختزال سعادة البشر في قوالب فلسفية ترتمي في عالم المثل خارج عن إرادتهم، وإنما حاول البحث عنها في عالمهم الواقعي عن طريق مشاركة حقيقية في اختيار المصير، وهي السعادة التي لا يمكن أن تكون شيئا آخر سوى بلوغ سلام كوني.

رابعا- المواطنة الكونية في أفق السلام الكوني:

إن الإيمان بالتقدم، سواء من ناحية تاريخ كوني أحسن وأرقى، أو من ناحية انتصار المثل الأخلاقية وقوى الخير في العالم، لا ينتج إلا من خلال ظهور شرعي لفكرة الحق، ولقد شهد المجتمع حادثة من هذا النوع هي الثورة الفرنسية (١٧٨٩)، إلا أن كانط يدين تطرفها رغم أنها -حسبه- أيقظت في روح الشعوب حماسا خالصا وتفاؤلا بقرب سيادة القانون وسعادة البشر، وبالتالي استئصال النزعة العسكرية ونزع السلاح وإيقاف الحروب، هذه الأخيرة التي تعدّ أكبر مانع أمام التقدم الخلقي، وإذا كانت الحرب هي النتيجة الطبيعية للتعصب والقهر والسيطرة فإن هدف كانط هو أخذ الإنسانية إلى غايتها الكونية، وهي تحقيق سلام كوني-أبدي[٢٣]، على اعتبار أن السلام ثمرة للنهج القانوني على الصعيد الداخلي للدولة ثم على الصعيد الخارجي (العلاقات بين الدول) [٢٤]. إن السلام-فيما يقول كانط- الذي ينبغي أن يعقب ما يسمى خطأ حتى الآن بمعاهدات الصلح، وهي في الحقيقة اتفاقيات هدنة ليس فكرة جوفاء، إنما هو مهمة تتحقق رويدا رويدا، وتقترب من غايتها بخطى واثقة مستمرة، ولابد من الأمل بأن الفترات

الزمنية التي تستغرقها هذه الخطوات الصاعدة باتجاه السلام الدائم تتسارع أكثر فأكثر[٢٥].

إن كانط لم يحسم مسؤولية السلام ضمن مقال سنة (١٧٩٦) إلا أننا نعثر لديه على إجابة شافية عما يكون مسؤولا على السلام الكوني في أحد هوامش كتاب "نزاع الكليات" (١٧٩٨) في تعليقه عن يوطوبيات الفلاسفة، فلقد تم إخراج "أطلنطا أفلاطون" و"يوطوبيا مور"، و"أقيانوس هارينكتون"، و"سفير أنبيا آلاس"، إخراجا مسرحيا، لكن لم يحدث أبدا القيام بمحاولات تحقيقها، ذلك أن أملنا وتفكيرنا في ظهور كيان سياسي فاضل مهما كان الأمر متأخرا مثلما نفكر بذلك هو حلم عذب، ومع ذلك أن نقترب من ذلك أكثر فأكثر ليس فقط أمرا قابلا للتفكير من جهة أن ذلك يتطابق مع القانون الأخلاقي[٢٦]، وإنما هو واجب، لكنه لا يخص المواطنين فحسب بل يخص قادة الدول، وكانط يحدد للفلاسفة مالهم وللساسة ما عليهم[٢٧]، للفلاسفة حق التفكير في السلام الكوني، وعلى قادة الدول واجب العمل على الاقتراب منه أكثر فأكثر[٢٨]، لكن السؤال الذي يمكن طرحه في هذا السياق هو: ما هي دوافع وضمانات هذا الحلم العذب والجميل ؟ أو بتعبير آخر: ما هي الآليات التي تمكننا من تحقيق سلام كوني وأبدي أو على الأقل التمهيد له ؟

إن ميثاق السلام العالمي لا يؤلف جزءا من نظرية الحق فقط، بل هو الغاية النهائية بأسرها لنظرية الحق، ذلك أن حالة السلام هي الحالة الوحيدة التي فيها ما هو لي وما هو لك؛ أي حالة قانونية يسودها سلام ونظام، وهذا الأخير لا يمكن أن يُستمد من تجربة أولئك الذين رضوا به حتى ذلك الحين كمعيار لسائر الناس، بل يجب أن يُستنبط قبليا بواسطة العقل من المثل الأعلى لتجمع قانوني للناس

تحت قوانين عامة، والواقع أن كل الأمثلة لا تستطيع إلا أن توضح لا أن تثبت، ولئن كان من المستحيل للوهلة الأولى تحقيق فكرة السلام الكوني، فإنه من الممكن أن تؤدي إليها بإصلاح غير مشعور به يتم تبعا لمبادئ راسخة تقودنا دائما إلى هذا الخير الأسمى في ميدان السياسة، ونعني به السلام الدائم بين جميع الدول والشعوب في هذا العالم (٢٩).

إن أول ما يشترطه كانط -في سبيل تحقيق سلام كوني- هو ضرورة تجاوز المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد بين الدول، والتي يصطلح على تسميتها معاهدات السلام، ذلك أن هذه الاتفاقيات ما هي إلا مجرد هدنة -من أجل جمع قوة أكثر- لمباشرة الحرب من جديد: "لذلك ينبغي ألا تعتبر أية معاهدة صلح على أنها كذلك، إذا ما كان أطرافها قد احتفظوا ضمنا اللجوء إلى حرب جديدة، لأن معاهدة من هذا النوع لن تكون سوى مجرد هدنة وليست السلام الذي يعني انتهاء الأعمال العدائية كافة، ولا يمكن أن نضفي على هذا السلام المؤقت صفة الدائم (الكوني)"(٣٠).

إن الخطوة الثانية نحو السلام الكوني-الأبدي هي ضرورة الحفاظ على استقلالية كل دولة :"فلا يحق لأي دولة من الدول أن تتدخل بالقوة في دستور دولة أخرى ونظام حكمها" (٣١)؛ أي عدم تدخل أي دولة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى، لأن أكثر شرور العالم وحروبها تبدأ بانتهاك دولة لحدود دولة أخرى :"فلا يسوّغ لأي دولة مستقلة (كبُرت أم صغُرت، فهذا لا شأن له في هذا المجال) أن تستحوذ على دولة أخرى لا بالميراث ولا بالمبادلة ولا بالثراء ولا بالهبة، فالدولة ليست ميراثا (على غرار الأرض التي تقوم عليها)، إنما هي مجتمع

بشري لا يجوز لأحد أن يتحكم فيه، ولا يحق لأحد أن يتصرف به ما لم يكن من هذا المجتمع بالذات"[٣٢]، هذا، وينبغي كذلك تجنب الوسائل التي من شأنها أن تدفع الدول إلى الحرب، كإزالة الجيوش باعتبارها تعكس الاستعداد للحرب: "إنه يجب إذن -فيما يقول كانط- أن تزول الجيوش النظامية كليا مع الوقت، لأن ظهور هذه الجيوش الدائم على أهبة الاستعداد للقتال يجعلها تهدد الدولة الأخرى بالحرب تهديدا مستمرا، ومن شأن هذا الواقع أن يدفع بكل دولة من الدول إلى محاربة الأخرى من حيث حشد الأعداد غير المحدودة من الفرق العسكرية"[٣٣]. إن الحرب لا تعطل مشروع السلام الكوني فحسب، وإنما تجرّ الدول إلى أزمات مالية عالمية بفعل النفقات العسكرية المستمرة، لذلك: "لا يحق لأي دولة اعتماد الاقتراض لتمويل نزاعاتها الخارجية، فهذا النظام ابتكار بارع استحدثه شعب تاجر من شعوب هذا الجيل، ليضفي على المال قدرة خطرة، وهذا التدبير يمثل ثروة واقفة على أهبة الاستعداد للحرب" [٣٤]، ولعل الأكثر من ذلك -وفق تحليل كانط- أن العلاقات القائمة بين الدول تحتاج إلى ضرورة الحرص على تجنب كل ما من شأنه أن يلغي الثقة القائمة بين الدول، خاصة الدول المتنافسة: "فلا يحق لأي دولة في حالة حرب مع دولة أخرى أن تسمح لنفسها بأعمال عدائية من النوع الذي يجعل الثقة مستحيلة بينهما بعد استتباب السلام، ومن هذه الأعمال مثلا استخدام عناصر تقوم بالاغتيال أو التسمم أو انتهاك حقوق الاستسلام أو التحريض على الخيانة في الدول المحاربة" [٣٥].

هذا، وإن طبيعة النظام السياسي هي كذلك آلية من شأنها أن تقربنا من تحقيق فعلي لسلام كوني-أبدي، لكن السؤال الذي يطرحه كانط هاهنا: هل النظام الجمهوري هو النظام الوحيد الذي يمكن أن يؤدي إلى إيجاد السلام

الكوني[٣٦] ؟ ولما كان النظام الجمهوري هو وحده الذي يتطلب موافقة المواطنين إما مباشرة أو عن طريق ممثليهم على القيام بحرب ما، ولما كانت ويلات الحرب ونفقاتها وتخريبها، وما تجرّه من ديون يبقى عبؤها باهظا حتى أثناء السلام، فإن تقرير القيام بحرب ما لا يتم إلا بعد تقدير عميق وتفكير دقيق في كل النتائج المترتبة على الحرب، خصوصا، وأن المواطنين أنفسهم هم الذين سيقاتلون ويدفعون من أرزاقهم نفقاتها، وكل هذا يدعوهم إلى التفكير ألف مرة ومرة قبل الإقدام على خوض حرب ما، أما إذا كان أمر تقرير الحرب في يد شخص واحد هو الذي يملك السيادة بل ويعتبر الدولة كلها ملكا له، فإنه سيعتبر الحرب مجرد نزهة مثل نزهة الصيد[٣٧]، ولا يخشى منها على متعه وملذاته، ولهذا فإنه يخوضها لأسباب تافهة ويوكل إلى الهيئة الدبلوماسية أمر تقديم المبررات، وهي هيئة في خدمة الحاكم مستعدة لتقديم ما يشاء من مبررات تقتضيها قواعد اللياقة في المعاملات ما بين الدول[٣٨].

إن إرادة البشر تقتضي العمل من أجل تحقيق سلام أبدي، ولكن هناك على مستوى الواقع ما يناقض ذلك، إذ أننا نجد صراعات وحروب واعتداءات، وهنا يقرّ كانط -على نحو ميتافيزيقي- على وجود خطة خفية في تقدم التاريخ نحو الأفضل توجّه الإرادة الإنسانية نحو سلام كوني، بحيث يكون لزاما علينا طرح سؤال يتعلق بجوهر البحث عن السلام الدائم وهو: ما الضامن-بالإضافة إلى إرادة البشر- لقيام سلام كوني-أبدي ؟ والجواب أفصحت عنه الطبيعة نفسها، الأمر الذي يجعلنا نتساءل مرة أخرى: ماذا تفعل الطبيعة في هذا الاتجاه لكي تقود الإنسان إلى الهدف الذي يفرضه عليه عقله بالذات كواجب، وبالتالي من أجل

تعزيز نزعته الأخلاقية [٣٩] ؟ الحقيقة أن الطبيعة هيئت الناس للعيش في كل أجزاء الأرض وشتتتهم بالحرب في كل الأقاليم حتى أكثرها استيحاشا ابتغاء عمارتها، ثم أرغمتهم بنفس الوسائل على عقد صلات متفاوتة في القانونية[٤٠]، ذلك أن :"السلام ليس مجرد حسن الجوار بين حقين يتجنبان التصادم، إنما هو أكثر من ذلك تبادل في الأفكار والفوائد والبضائع لأن الناس يؤلفون جماعة"[٤١].

إن سلامة الجنس البشري تتطلب تحقيق الكمال الأخلاقي الأقصى للإنسانية، وتلك هي الغاية العامة للجنس البشري، وبتحققها يتحقق السلام بالضرورة [٤٢]، ذلك أن العلاقة بين الدين الأخلاقي والسلام العالمي-في نظر كانط-هي علاقة تلازم، على اعتبار أن الدين يقوم على العقل، وحياة العقل هي حياة الإنسانية؛ أي فعل الخير والعدل والسلام والمحبة، وتحقيق السلام في تلازم ضروري مع الواجب الأخلاقي، لهذا يرى كانط-وهو محق تماما في هذا وليت العالم ينتبه إلى أهمية ما طرحه في هذا السبيل حتى يمكن تجنب ويلات الحروب الناجمة عن التعصب والتطرف والإرهاب- أن مشكلة السلام مشكلة أخلاقية، فالأمل في سلام كوني وأبدي يسود العالم ويستمر بصورة لا نهائية مرهون كله بالتربية الأخلاقية من أجل تكوين العقل النقدي؛ أي العقل الراشد المستنير - أليست بداية كل حرب جرت في الواقع سببها تهور واندفاعية ؟- والتربية الهادفة إلى تنمية المواهب واحترام الشخصية وفقا للمبادئ الأخلاقية[٤٣]، خاصة وأن المبادئ والقواعد الأخلاقية تحمل البعد إنساني، وهو الشيء الذي يجعلها حينما ترتبط بالسلام تضفي عليه الشرعية الكونية؛ أي يحمل هو الآخر بعداً كونيا إنسانيا على غرار الأخلاق الكونية[٤٤]. وهكذا نجد كانط يطبق على الأفراد القاعدة

الكونية في المجال السياسي من حيث السلام كوني، مثلما هو الشأن في المجال الأخلاقي.

إن الإنسانية الأخلاقية التي تحرك الفعل الخلقي لا تلبث أن تتحول إلى قوة داخلية تحرك العقل نحو تحقيق سلام كوني-أبدي، الأمر الذي يبين لنا أن الكونية ومعها العقل هي محور الفعل الأخلاقي السياسي إذ يظهر العقل كمشرع لما هو أخلاقي-سياسي، ومعه تظهر العلاقة بين الأخلاق والسياسة.

خامسا- البعد الأخلاقي-الإنساني في الممارسة السياسية:

لقد استشرف كانط إمكانية تحول الدولة الكوسموسياسية إلى كيان سياسي يتحكم بكل الدول، أو ما يسميه كانط بـ"مملكة كونية"، لذلك اكتفى ببناء فكرة الحق الكوسموسياسي على مجرد التزام أخلاقي واستعمال عمومي للعقل وإرشاد فلسفي للسياسة[٤٥]، فالالتزام الشخصي الحر إلى جانب كونه قيمة أخلاقية في ذاته، ينمي -في نظر كانط- حركة التقارب بين الشعوب، ويحفز القوى الفعالة على التسابق نحو الأفضل حيث يغدو السلام الكوني-الأبدي القائم على العدل والحرية يؤلف أروع مكسب تحققه الإنسانية المتطورة [٤٦]، وهنا يمكن أن نستحضر "Levinas" ذلك القارئ الجيد لكانط، والذي يتحدث عن العلو الذي يستحوذه الآخر عليّ أثناء لقائه، وعندئذ سيصبح ممكنا النظر إلى الغريب لا كعدو محتمل، ولكن كمواطن عالمي (كوني) على هذه الأرض المشتركة، وكمسافر شاهد على إمكانية الأمل وبحق في مكان تسوده العدالة والسلام [٤٧].

إن كانط يبدو أكثر تفاؤلية حسب عبارة "Jean Paul Richter"، إذ بقي حتى موته يدافع عن سلام كوني-أبدي[٤٨]، ولقد كان على حق عندما أثنى على "هيوم" بوصفه أعطى الدواء البطولي، والذي بإمكانه أن يجلب الشفاء للإنسانية

من الحروب وما تخلفه من آلام، حين شبه الأمم المتحاربة (أثناء الحرب) بشخصين ثملين يتشاجران بعصي في محل فخاري، ويلزمهم وقت طويل للشفاء من اللكمات المتبادلة، وفوق ذلك لابد عليهم أن يدفعوا حق ما حطموه من أواني، بينما النتائج المؤلمة للحرب الحالية قادرة أن تحتم على المتنبئين السياسيين بالإقرار بتوجيه قريب للإنسانية نحو الأحسن والأفضل الذي بدا يلوح في الأفق[٤٩].

إن فكرة السلام الكوني-الأبدي التي حرص كانط على صياغتها لم تكف أبدا عن التجذر والتطور في الفضاء السياسي الحالي منذ تأسيس المجتمع الأممي، فقد جعلت من الممكن أن يحتج الجميع على أي اعتداء يقترف بشأن أي إنسان في أي جزء من الأرض، وكانط يبدو على حق حينما قصر مهمة الفيلسوف على الدفاع عن حرية التفكير وعن التهذيب الأخلاقي للإنسانية من أجل توجيهها نحو مستقبل يكون فيه الإنسان غاية في ذاته، والوطن عالما بلا حدود والدولة حقا كوسموسياسيا قائما على ضيافة كونية، ذلك أن مهمة الفيلسوف -حسب كانط- ليست صياغة الدساتير الحقوقية فتلك مهمة المشرّعين والساسة والحقوقيين، إن دوره ليس مواجهة الدولة القائمة وإنما التفكير أمام الإنسانية برمتها؛ أي خارج سقف الملل والنحل، إنه مواطن كوني في عالم يتسع للجميع[٥٠]، ذلك أن الفيلسوف يريد دائما أن يضفي الشرعية الكونية على أرائه الفلسفية[٥١].

إننا نجد في حق المواطنة الكونية، التي بشّر بها كانط، والتي لم تعد في نظر "هابرماس" مجرد مبالغة متحمسة في مذهب الحق درجة الاكتمال القصوى الضرورية للحق المدني والعمومي، الشيء الذي جعل "هابرماس" يعترف بأهمية مبدأ العمومية الذي شدّد عليه كانط كمبدأ لكل عملية سياسية، ذلك أن كانط -

في نظر هابر ماس- هو من حرص على صياغة العلاقة الحميمية بين التنظيم الحقوقي والثقافة السياسية لشعب ما، وأهمية ذلك في تجذر مفهوم الحرية في تحضر كل أمة وتقدمها.

لقد جعل كانط الحرية هي المرتكز، ذلك أن كل عمل إنساني إذا كان حرا فإنه سيكون في مستوى اللامشروط، وبالتالي في مستوى الكوني الذي يلتمس في كل مرة من حيث معاملة الإنسان كإنسان؛ أي كذات لها كرامة، مما يدل على أن الأخلاق لا تنفك عن الفكر السياسي حيث يلتقي الأخلاقي والسياسي في وحدة التشريع العقلي؛ أي في استناد القانون السياسي-ومعه الأخلاقي- إلى المبادئ القبلية-الأولية وفق مبادئ العقل العملي، فالقانون لا يمكن أن يستخلص مما هو موجود لأنه معياري، ولأنه مساعد لعلم الأخلاق بالمعنى الأوسع والضامن للحريات. إن كانط لم يكن-على حد تعبير بدوي- إلا أكبر "نبي" للنزعة العقلية في القانون.

سادسا- ماذا نتعلم من كانط في عالم اليوم، أو في راهنية كانط ؟

١-الكونية: ربما يمكننا القول أن كانط هو الفيلسوف "الكوني" الوحيد، أو على الأقل الأكثر من شرّع لعقلانية كونية وحرص على الدفاع عنها، فالسلام الذي دعا إليه كانط لا يبدو البتة حكرا على دولة دون أخرى أو مجتمع دون غيره، بل هو سلام كوني خاص بالإنسانية جمعاء، ولما كان الواقع السياسي يفرق أكثر مما يوحد ؛أي يسمح بظهور اختلافات وانتماءات، فقد دعا كانط إلى سياسة كونية تتجاوز التاريخ إلى تاريخ كوني للإنسانية.

إن كانط يراهن على الكونية ضد "الهوية-الخصوصي"، وعلى المدنية ضد القوميات، وعلى الجغرافيا السياسية والجيوفلسفة بدلا من التاريخ وفلسفة

التاريخ[٥٢]، وهو الشيء الذي أكد عليه "ميشال فوكو" عندما رأى أن نصوص كانط لا يمكن أن تساعد أي مؤرخ على تحليل التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي حصلت في منتهى القرن الثامن عشر، ذلك لأن مقصد كانط أكثر من ذلك بكثير، إنه مقصد إشعاعي وكوني-لا تاريخي[٥٣]. إن البعد الكوني الذي طرحه كانط يساعدنا على التخفيف من وطأة الانتماء، ومن ثقل الذاكرة التاريخية، ومن ضروب الأقليات إلى الاتجاه نحو أفق استكشافي كوكبي يشكل مواطنة كونية.

٢- فن العيش سويا: يعلمنا السلام الكوني كيف يمكن أن نوجد معًا وكيف نستعمل سويا العالم والمدن بوصفنا مواطنين كونيين، ففي أفق المواطنة الكونية يمكننا تجاوز ما أسماه "فوكو" -ابتزاز الحداثة- أي تجاوز الثنائية المنطقية التي تهيمن على ممارساتنا الفكرية وتصيب عقولنا بضرب من العطالة والدوغمائية (هل نحن مع التنوير أم ضده ؟ هل نحن مع الحداثة أم ضدها ؟ ...الخ).

إن السياسة الكونية تعلمنا فن العيش معا والانتماء إلى وطن واحد هو العالم، وقيام فضاء مفتوح يتجاوز التاريخ والانتماء، ذلك أن هذا الأخير كرّس ثنائية الذات والآخر، وأصبح كل قطب يحمل دلالة (الشرق صورة الضحية أو هو المستعمَر والمتخلف وموطن الإرهاب، الغرب صورة البطل المستنير أو هو المستعمِر وموطن الديمقراطية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان ...الخ)[٥٤].

٣- قوة الإنسان في العقل: يعلمنا كانط أن العقل هو الذي ينتج السلام الكوني، وكل أهمية النظرية النقدية في كونها حصرت الاهتمام بكيفية إنتاج المفاهيم الكونية، والعقل -وفق مبادئه القبلية- يضمن الاتفاق والتفاهم، إنه مبدأ العمومية باعتباره يضمن آليات الحوار والنقاش، وقوته تظهر في أنه يربط بين

الأخلاق والسياسة (مبدأ التشريع الذاتي). إن كانط يعلمنا الاقتراب أكثر من أنفسنا ومساءلة عقولنا.

٤- الراهنية: يعلمنا كانط أنه ما من تفكير إلا ولابد أن يحمل في ذاته الشرعية الكونية؛ أي لابد أن يتجه نحو الراهنية، وكل إجابة يقدمها الفيلسوف لابد أن تكون نموذجا لا تاريخيا، إنها استمرارية ودوام اللحظة؛ أي تجاوز الأبعاد الثلاثية للزمان (ماض، حاضر، مستقبل) نحو إشعاعية لا تعرف اتجاها معينا ولا تأخذ بداية أو نهاية، والفيلسوف الحق هو الذي يضفي الشرعية الكونية على آرائه الفلسفية.

٥- التفاؤلية: يعلمنا كانط ضرورة التفاؤل في تقدم التاريخ الإنساني نحو ما هو أفضل وأرقى، وليس من قبيل الحلم بالمستقبل مثلما تتغذى بذلك اليوتوبيات الحديثة، ومع كانط لم يعد بوسع الفيلسوف أن يكون بطلا، وإنما يجدر له أن يتخذ لنفسه مقاما يكون له فيه من الشجاعة على استعمال عقله، وقسط كبير من التفاؤل بالمستقبل، من أجل أن يكون الإنسان الكوني والحر والجريء على استعمال عقله قريب التحقق وليس مجرد حلم من أحلام الفلاسفة(٥٥).

وقصارى القول، إن السلام الكوني عند كانط لا يحيل إلى ضرب من التفكير الخيالي، وإنما منطلق أخلاقي بالأساس وغاية أخلاقية في النهاية يُحرك الذات الإنسانية نحو الاتفاق مع الآخر.

الخاتمة:

لقد أكد كانط على ضرورة بلوغ السلام الكوني، وبالرغم من تشابك وتعقد الآليات التي تضمنه، سواء ما تعلق منها بالبعد الأخلاقي أو العقلي، فإن كانط يكون بذلك قد فتح قارة جديدة، وهي قارة الإنسانية التواصلية، على

اعتبار أن مشكلات الإنسان يمكن حلها بالرجوع القهقرى إلى طبيعة الإنسان الخيّرة، والتي تنشد النبل والخير.

إن هذه الثقة المفرطة في الإنسان، والأمل الكبير فيه في تخليص الإنسانية من عنائها الأكبر، تجعل من كانط يقف في وجه أطروحات الفلاسفة والمفكرين الذين أرادوا تكريس الفكر التراتبي، والرؤية المركزية، والبعد الأيديولوجي، بدءا من فلسفة "لايبنتز" و"نيتشه" التي أقرّت بأن حالة السّلم هي دائما خطوة جديدة نحو حرب آتية لمحالة، وصولا إلى أطروحات المعاصرين، أمثال: "صموئيل هيدينغتون" و"فوكو ياما"، والتي حملت رؤية سوداوية عن التاريخ الإنساني ومصيره أيضا.

لقد آن لنا الأوان لكي نميّز بين فيلسوف الإنسانية قاطبة، والذي يحمل همّ الإنسان بما هو إنسان، وبين المشرّع السياسي-المؤدلج الذي يبرّر الحرب والغزو والاجتياح العسكري.

ملخص البحث :

ما من أمل ينشده الإنسان في عالمنا وزماننا ويتوق إليه بشغف، يفوق ما يتوق إليه في سلام أبدي وكوني، وهو سلام من شأنه أن يحرّر مستقبل الإنسانية من عنائها الأكبر الناجم عن التطور السريع الذي أحرزته صناعة الأسلحة الفتاكة، فغدت تهدّد الوجود البشري على الإطلاق. وفق هذه النظرة الاستشرافية التي يمتزج فيها البعد الأخلاقي والحضاري والإنساني التواصلي - والتي تطبعها الغائية المتفائلة- نجد الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" (١٧٢٤-١٨٠٤)، ومن خلال كتابه "نحو السلام الدائم" يحرص على فكرة إنسانية-عالمية، وذلك من خلال التشريع لسلام كوني وأبدي، مؤكدا أن خلاص الجنس البشري يكمن في تحقيق الكمال الأخلاقي الأقصى للإنسانية، وهو السلام الأبدي.

هوامش البحث و مصادره

١- إن الكلمة الألمانية (recht) ونظيرتها الفرنسية (droit) تدل على الحق وعلى القانون معا، ومن هنا قد يختلط الكلام عن كليهما دائما، ولهذا نرجو من القارئ الكريم أن يفهم المعنيين معا حين نستخدم أحد اللفظين: نقلا عن عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩، ص٠٥.

٢- محمد المصباحي وآخرون، فلسفة الحق، كانط والفلسفة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ٢٠٠٧، ص١١٩.

٣- إيمانويل كانط ،نحو السلام الدائم، ترجمة، نبيل الخوري، دار صادر، بيروت،ط١، ١٩٨٥، ص١٢.

٤- وزارة التربية الوطنية، نصوص فلسفية مختارة، ص١١٦.

٥- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص ١٢.

6-Kant (Emmanuel, Pour la paix perpétuelle, projet philosophique, traduction et traduction, Joël Lefebvre, presses Universitaires de Lyon, 2002, p112.

٧- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم المصدر السابق، ص٩٩.

٨- فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، ترجمة، نعيمة حاج عبد الرحمن، مجلة أيس، الجزائر، العدد١، جوان، ٢٠٠٥، ص٥٢.

٩- وفي هذا السياق يمكن القول أن مشروع المصالحة الوطنية يعكس بحق مدى النضج السياسي للمجتمع المدني الجزائري، إذ أن تيقن الجزائريين والجزائريات من أنه من دون عودة السّلم والأمن، لن يثمر أي مسعى من مساعي التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالثمار التي يتوخونها منه. نقلا عن: République Algérienne Démocratique et Populaire, Projet de charte pour la paix et la réconciliation nationale,29 9 2005, p8.

١٠- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص ص١٣-١٤.

١١- عبد الرحمن بدوي ، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص ص٢٠٧-٢٠٨.

١٢- فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، المرجع السابق، ص ٥٣.
١٣- نقصد بها الظروف التاريخية التي أحاطت بنظرية كانط السياسية، ففي ذلك الوقت كان مذهب أو مدرسة القانون الطبيعي هو السائد، وكان كتاب "جروتيوس" "Grotius" (١٥٨٣-١٦٤٥) الموسوم بـ "في قانون الحرب والسلام" هو المتن المقرر في كثير من الجامعات الألمانية، ثم صار القانون الطبيعي أساسا في القانون العام السياسي المحلي والدولي، وعلى أساسه أقام "هوبز" نظريته في السيادة، و"لوك" رأيه في أنه لا ضرائب بدون تمثيل نيابي، و"روسو" مذهبه في الإرادة العامة أو الجماعية: نقلا عن عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص ص٨-٩.
١٤- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٧.
١٥- عبد الرحمن بدوي، فلسفة التاريخ عند كانط، أوراق فلسفية، العدد ١١، ٢٠٠٤، ص٨٨.
١٦- فرنسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، المرجع السابق، ص٥٦.
١٧- مطاع صفدي، ماذا يعني أن نفكر اليوم ؟ فلسفة الحداثة السياسية، نقد الإستراتيجية الحضارية، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس، ط٢، ٢٠٠٢، ص٨٨.
١٨- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص٣٣.
١٩- جاك دريدا وآخرون، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة، ترجمة، حسن العمراني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥، ص١١.
٢٠- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ص١٢٧.
٢١- ميشال فوكو، كانط والثورة، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد٣٨-٣٩، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص١٥.
٢٢- منير الكشو،التاريخ والتقدم عند كانط، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد٣٨-٣٩،٢٠٠٤-٢٠٠٤، ص٢١.
٢٣- حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط،مجلة أوراق فلسفية، العدد١١، ٢٠٠٤، ص ص١٢٤-١٢٥.

٢٤- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص١٥.
٢٥- المصدر نفسه، ص٩٩.
٢٦- إن ما يجعل كانط يؤسس للسلام الكوني-الأبدي هو تقدم التاريخ نحو الأفضل والأحسن، ولكن ليس كباقي الفلاسفة الذين ينظرون إليه كحتمية، وإنما لأن كانط يربط هذا التقدم التاريخي بالتقدم الأخلاقي.
٢٧- لا ينساق كانط مع أفلاطون في دعوة هذا الأخير إلى أن يكون الفلاسفة حكاما أو الحكام فلاسفة، وكل ما يطلبه من الحكام ألا يكتموا أصوات الفلاسفة بل يتركونهم يبدون آراءهم بحرية، خصوصا وأنه لا خطر على الحكام من الفلاسفة، لأنهم لا يؤلفون أحزابا ولا جمعيات ولا نوادي سياسية. نقلا عن: عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص٢٤٦.
٢٨- أم الزين بنشيخة،كانط في فضاء هابرماس أو كيف الكلام على السّلم الدائمة ؟ مجلة أوراق فلسفية، العدد١١، ٢٠٠٤، ص٤١١.
٢٩- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص ص٢٠١-٢٠٢.
٣٠- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص٣٠.
٣١- المصدر نفسه، ص٣٤.
٣٢- المصدر نفسه، ص٣١.
٣٣- المصدر نفسه، ص ص٣٢-٣٣.
٣٤- إن تشريع السلام الكوني يقتضي الاحتكام إلى سلطان العقل، وإن تعيين هذا السّلم هدفا إنسانيا نبيلا يوجب-علاوة على ذلك- الإقرار بأخلاقيات التواصل بين الشعوب والدول حتى في حالة الحرب، حيث يفرض كانط على الدول المتحاربة ما يسمى بآداب الحرب، وهو ما من شأنه أن يذكرنا بآداب الحرب عند المسلمين في بواكيرهم الأولى، نقلا عن: المولدي عزديني، في راهنية العقل والأخلاق، موقعها في تشريع مطلب "السلم الأبدية" عند كانط، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٢٨-١٢٩، ٢٠٠٤، ص٨٦.
٣٥- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص٦٤.
٣٦- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص٢٣١.

٣٧- لقد أجاب أحد الأمراء البلغاريين إمبراطورا يونانيا، كان هذا الأخير قد اقترح عليه الاقتراح الشهم؛ أي المنازلة المفردة لإنهاء الخلاف بينهما دون سفك دماء الرعايا، فقال: "الحداد الذي لديه ملقط لا يستخرج قطعة الحديد المحمّاة بيده". نقلا عن: إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص٣٢.

٣٨- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص٢٣٢.

٣٩- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص٦٤.

٤٠- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص١٨٨.

41-Emmanuel Kant, pour la paix perpétuelle, op.cit, p 42.

٤٢- عبير سعد، الدين والسلام عند كانط، مجلة أوراق فلسفية، العدد ١١، ٢٠٠٤، ص٣١٢.

٤٣- المرجع نفسه، ص ص٣١١-٣١٢.

٤٤- عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، المرجع السابق، ص١٩١.

٤٥- أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هابرماس أو كيف الكلام على السّلم الدائمة ؟ المرجع السابق، ص٤٢٠.

٤٦- إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، المصدر السابق، ص١٢.

٤٧- فرانسوا مارتي، العدالة العالمية، الطريق نحو السلام، المرجع السابق، ص٦٢.

48- Emmanuel Kant, pour la paix perpétuelle, op, cit, p42

49 - Ibid. p 112.

٥٠- أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هابرماس أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص٥١٦.

٥١- يريد الفيلسوف دائما أن يضفي الشرعية الكونية على آرائه ونظرياته الفلسفية، وتاريخ الفكر الفلسفي يبيّن مدى إسهام الفلاسفة في وضع تشريعات ومبادئ كونية لا تقبل التغير والاستثناء، فنحن نجد -مثلا- في فلسفة أفلاطون أو أرسطو نموذجا حقيقيا لمحاولة بلوغ ما هو كوني،كما أننا نجد القديس "أوغسطين" يبحث في العصر الوسيط في إمكانية تجسيد الكوني الذي أسماه "مدينة الله"، وفي الفكر الإسلامي نجد "الفارابي" يشرّع لما هو كوني من خلال مدينة فاضلة ودولة عالمية واحدة تحمل في ذاتها قيمة كونية.

٥٢- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص٢١٧.

٥٣- صالح مصباح، التنوير الكلاسيكي في تنوعه وتاريخيته، راديكاليا ومعتدلا ومضادا، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد ٣٨-٣٩، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص٦٦.

٥٤- أم الزين بنشيخة-المسكيني، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المرجع السابق، ص٢١٨.

٥٥- المرجع نفسه، ص٢١٩.